نورة طاع الله

توكتوك الحارة

توكتوك الحارة

نورة طاع اللّه

مديرة الدار : هاجر علاء "Jo"

01066392197

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يُعرض صاحبه للمساءلة القانونية ، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادةالواردة في الكتاب فهي خاصة بالكاتب فقط لا غير.

اسم الكتاب : توكتوك الحارة

تأليف : نورة طاع الله

النوع : قصة

الطبعة : الأولى

أشرفت الكاتبة على التصحيح والتدقيق اللغوي

رقم الإيداع : 2025-68843

الترقيم الدولي : 978-977-95-2449-1

من لم يحلم فليس له أهداف بالحياة ومن لم يحقق الحلم ليس بالعاجز الذي عجز عن تحقيق الأمنية وجعل الحلم حقيقة, فما نبدأ به حلم جميل وما يليه واقع قد يقبل بنا وبأحلامنا أو قد يرفضنا نحن الاثنين, ناهيك عن الظروف وما تجلبه من خيبات وانكسارات وانعكاسات تلهينا وتعطل ما ننوي فعله وانجازه في ذلك الوقت القريب, فنتبع أوامر الظروف وما تصنعه فيها الأحوال المتغيرة بين الحين والحين.

قد نصيب وقد نخيب وما لم نتوقعه في الحاصل دوما لماذا لا ندري وما يحصل لا نريد, والكرة خارج ملعبنا وبين أقدام الذي يقرر عنا الفعل والقول والمصير.

ما ليس لنا لن يكون لنا وان أخذناه بالحيلة والقوة والغش بالأخير فهو لأصحابه وان مات فيهم الذي مات يكفي الذي بالحياة حي ويعيش.

الظروف لا تريدنا أن نراها كما نراها فلن ترحب بما نرى ولا بما نرغب ونريد, فلا الفقر ينصفنا ولا هو الذي يحمينا عند كل سقطة ووقوع ولا عند كل ضربة ووعيد.

من لم يتعلم من الحياة ومن الظروف أن التغلب على القوي الأقوى لا بالتدريب ونفخ العضلات وشد الخصر لبدأ المباراة, فلم ينتصر البطل بالخداع ولا بالمال ولا بقبول المرفوض ورفض الصحيح وانما بأبسط من ذلك بإيمان ليس ببسيط وبإرادة أرادت احراق اليابس واحياء النبات بالأرض عند أول فرصة وعند الضرورة وحاجة السيد والرقيب, والشجاعة في القيام بما يجب لا تعرف هذا السيد ولا هذا الأمير ابن الملك ولا هذا المقاتل الذي لا يغلبه أقوى الجيوش, فما انتصر الا بطل أحب ما يريد وجاهد واجتهد ليكون كما يريد أن يكون.

اليوم الأول من كل يوم جديد هو يوم لا يختلف عن باقي الأيام كما عند البعض .. فهو يوم شبيه للغاية باليوم الذي سبقه وشبيه بالأيام الماضية التي نجحت في ترك غصة بقلب لا يقوى على تحمل الكثير من الأمور التي تحدث في اليوم الواحد

بداية اليوم هي كأي بداية تحتاج الى نشاط وحيوية والى جرعة أمل ليكون اليوم على ما يرام بالشيء القليل الذي يحفز على اكمال هذا

اليوم الذي في الغالب ما يكون يوم مشؤوم لا تغيب فيه لا الحيرة ولا القلق ولا المصيبة .. نعم تلك المصيبة المدمرة لما بعده.

حال اليوم هذا اليوم أو قبله أو بعده هو حال من نفس الحال من كل حال هو الحال على حاله والعم عمر صاحب 55 بالرقم و65 بالحقيقة والظاهر يومه هو اليوم الذي وصفناه بالدقة والتجريب وشرح الوضع شرح القياس للشيء.

أين نحن وأين هذا العم من كل ما كان .. من كل ما يحدث ومن كل فرصة مرت من المكان.

أين الذكريات لتعيد سرد وحكاية الزمن وأجمل الأوقات واللحظات ..ذكريات لم تكن للظروف القاسية فيها أي جزء من الجمع والرص في احدى الرفوف والادراج .

لم تعد الحياة كما في السابق لا بهذا الطعم ولا الريحة هي نفسها الريحة التي عليها كبرنا وعشنا ومررنا بأجمل الأيام واللحظات.

أشياء كثيرة تغيرت بين الأمس واليوم فلا الوقت هو الوقت الكامل الذي في صالحنا ولا السماء هي نفسها السماء بقوة اشراقها, ولا النوم فيه تلك الراحة والطمأنينة, أشياء كثيرة تغيرت ولم تعد كما في السابق فالذي معنا قد غادر أو رحل والذي بقي قد بقي الا أنه غائب بالقلب والاحساس.

لم أعد أشعر بأن الحب لايزال بقلوب العاشقين ولا اللهفة بنفس صورتها المعتادة عند المشتاقين ولا الروح محبة للحياة كما هي دائما.

الذي تغير قد تغير للأسوأ والذي لم يعد موجود فقد فقدناه بلحظة تسرع وتهور أو بلحظة قرار من الذي لا يعي ما الذي قرره وما الذي أعلنه بالأخير.

لم تعد أجراس المنزل نسمع لها صوتا من جديد فليس هناك زوار ولا ضيوف ولا أهل قد مروا من هنا فاطمئنوا كيف نحن وما فعلته بنا الحياة من دونهم.

الوقت اختلف كثيرا فما تركناه ورائنا بقي بالوراء لا غير بذلك المكان والزمان وبتلك الذكريات والسنوات التي حتما لن تعود .. فقد تطور ما تطور وتغير ما كان لا يحتاج للتغيير جزء من الجزء من الأجزاء.

هل فرقتنا الأيام أم داست على جرح لم يكن جرح بذلك الوقت فقد أصبح غير ما كان ويا ليت ما كان لم يكن الا ما كان قد بقي وما بقي ما كان غير الذي هو الأن حاضر ليبقى ما يبقى ويكمل معنا باقي الأيام.

لم تشرح لنا الحياة في لحظة هدوء وتصالح البعض من الشرح الخفيف السريع أن الحياة فيما بعد ليست مثل سابق الحياة, ولا هي الحياة التي ننعم بها بحياة كريمة .. حياة فيها نلتقي بالحس والاحساس بالفرصة والأمل والجميل في الشارع وبين الأهل والأحباب وفي مباني وبقع العمل وفي تلك الجلسات التي ليس لها مع أي تجاوزات.

لم تخبرنا الحياة أنها ستتغير الى هذا الحد وبسرعة لم تمهد لنا الطريق لنسير سير العقلاء عند اتخاذ قرار السير قبل طلوع الفجر أو بعدها بساعات.

لم ترسل لنا الحياة بعض المقتطفات عما سنعيشه اليوم عبر حلم نرى من خلاله القليل فنفهم ونقول لا لن تكون هذه الحياة.

لم تجلس معنا جلسة صفاء فيها تحكي لنا عن بعض الحكايات فنقول سوى تنبؤات وهذا الذي قيل لن يكون بهذا الحال.

أين المفر من ظروف لم ترد تغيير اتجاهها ولا هي تستجيب للتغيير والهدوء بالمكان الواحد .. من أين الطريق المعاكس الذي لا هو بطريق ظروف دمرت الكثير وصنعت البشع على مر الأيام .

وهي الظروف نفسها ظروف صعبة وقاسية قد جلبناها وحضرت دون دعوة حضور قد سبقت هذا الحضور المرفوض.

أمور كثيرة لم تعد لصالحنا فالذي رتبناه من أجلنا هو سوى ضدنا أو بالناحية الأخرى بعيد عنا لا يرغب في القدوم.

أحوال تبدلت وأحوال على حالها باقية الى متى لا يعلم ذلك المسكين المهموم الذي أهلكته الظروف وأنهاه التفكير فيها.

الحال على حاله ما رحل وما بقي كما نرغب وضمن ما نريد فإننا مجبرين على تقبل الذي لا نقوى على تقبله والموافقة على الذي رفضناه باستمرار.

الى متى الحال على حاله لا غير اللباس ولا الهيئة ولا أراد التخفيف عنا في ذلك اليوم.

لم تودعنا ولم نودعها فهي الحياة التي تجيد طردنا منها بصفعة كف قبل قدوم الموت بسنوات.

هل رغيف خبر بحاجة الى العمل لمئات الدقائق والعشر من الساعات أم لا حاجة لرغيف واليوم الوجبة فيه وجبة في الغالب أم وجبتان.

هل وجبة فطور هي سعي المحتاج ليغطيها ويبقى حائرا ما العمل عند الغداء وكيف سيكون العشاء أم البقاء لساعات تصل ليوم ويومين بلا غذاء ولا مسكن يسكت الجوع قبل حلول الموعد أو بعده بالكثير من الوقت والساعات.

أم بيضة مسلوقة تغنينا عن قطعة جبن وصحن فول مرصوص على مائدة الدائرة فيها مكتملة الأحرف دون ثغرات بالزوايا فهي اللمة الأولى

عند جلسة فطار تعيدها أمسية شتاء دافئ يغيب فيها الدفء سوى دفء رحمة الرحمن قد غطت المكان.

أم ماذا أيها الزمان ألم يكفيك ما فعلته والأن تفعله وأنت القوي ونحن الضعفاء أم تظن أن الكسرة والخيبة سترقدنا بإحدى الزوايا وتبقى أنت تسيطر على الأرض والمسيطر لست أنت أيها الزمان.

لن تنتهي بنا الأحزان بل ستنهينا تلك الآهات والألآم ومعنا وجع لم يجد العلاج لا عند السعداء بتلك المدن ولا عند التعساء بأزقة الحارات.

وعلى سيرة الحارة فأنا ابن حارة من احدى الحارات حارة النعمان وعمر ابن عثمان ابن حسان أبو لقمان جميعنا ننتمي الى حارتنا حارة بني النعمان.

حارتنا بسيطة بساطة الأهل وكل الجيران فنحن ولدنا بها ولم نجد بغيرها مكان ولا إقامة الغريب فيها اقامته بغريب فمن دخلها صار من الأهل وانتسب لها قبل بلوغ الأربعين من العد والأيام.

لم أرى يوما لسيارة وحافلة وغيرها من وسائل النقل المتواجدة بالعالم فالتوك توك هو وسيلة النقل بالحارة ولا غيرها من الحافلة والسيارات.

بما أن تقريبا جميع المعارف والناس المقيمون بالحارة حارة النعمان يملكون توك توك فاقترحت على ابني لقمان بأن نشتري توك توك واستقرينا على هذا الاقتراح الذي أصبح قرار نسعى الى تنفيذه في أقرب الآجال .

كان من الصعب جدا أو من المستحيل اقتناء توك توك فالظروف المادية لدينا لا تسمح ولن تسمح لا بذلك الوقت القريب ولا بذلك الوقت البعيد.

رغم سعيي المستمر وعمل بكل الأوقات فلم أعرف الراحة في يوم الجمعة ولا الاستلقاء عند أخر ساعة من النهار, أنا سوى ذلك الرجل الذي يعمل لساعات طوال على أمل أن أقتني ما أرغب فيه فيكون بعدها التغيير المراد.

هل سأبقى الرجل الذي بحاجة الى كل شيء في معظم الأوقات أم أن الحياة ستضحك لي ضحكة المخادع في أي لحظة من اللحظات فأقول ها هو الحظ قد التفت لي فما بعد الالتفات الى فرج ولو لساعات فيها

أحقق ما أريد وأحصل على ما أردت من القليل التابع للقليل من الحياة.

أنا رجل بسيط جد وأعمل بمطحنة القمح بالحارة ولي ولد وبنتين لقمان وسيدة وحنان والولد أصغرهم عمره اثنا عشر سنة وشهرين وسيدة ستة عشر سنة والعشرون سنة سن حنان.

قررنا أن نعمل جميعا لنتمكن من اقتناء توك توك فهذا ما كان ولقمان يعمل عند جارنا الميكانيكي وسيدة تبيع الخضر مع والدتها عند أول بوابة الحارة قبل تقاطع نهر التيجان والأخرى طباخة بمحل الأكل السريع أقصد ابنتي الكبرى حنان.

وضعنا الدينار فوق الدينار وقد ساهم الجميع فالحلم واحد والغاية نفسها والسعي ان تفاوت فلا فيه الراحة ولا فيه استراحة عامل عند الظهر أو بعد الثماني ساعات.

وصل المبلغ للرقم المراد فالفقير قد تعود على الجوع والعطش والنوم بلا دفء أو غطاء, فلا الجوع يقتله ولا جفاف الفم يخنق حتى الممات ولا البرد بالليالي الممطرة ستمنعه من الاكمال حتى الصباح.

فمن سعى قد سعى لا لأكل رغيفين بالفطور والثلاث بالعشاء وانما لجمع ما يتيسر من جمعه للخروج من هذه الوضع والحال.

ويشاء القدر أن تتيسر معنا الأمور وتصبح على أحسن حال فجمعنا ما جمعناه وكان الاستعداد لشراء توك توك مستعجل وفي الحال الا أن, الا أن الحظ دوما يغير طريقه ويسير بغير اتجاه ولو ضحكت لنا الحياة في لحظة صفاء أو غيرها فهي قد ضحكت على حال المسكين الذي لا يقوى على النهوض والعيش للبقاء لا لمنحه ما يحتاج ولو بالغش والاحتيال.

وككل مرة تكون الخيبة أطول من طول باقي الخيبات وما كسرنا قد تعود على ضربنا بأقوى الضربات ونحن دوما صامدين دون مقاومة لما يحدث معنا فقد تعودنا على السكوت وتحمل الظلم والظلم ظلمات.

هل أعيش أنا ومن معي لنأكل ونشرب ولا نقول للحياة بصوت قوي وصاخب نحنا هنا فليستعد المواجهة لمواجهتنا بأشهر القاعات.

أم نسكت ككل مرة ونعمل في السر والخفاء ولا يسمع صوتنا لا الجن ولا والانس ولا حتى صوت العقل له صدى بالجسد وضيق المكان.

في اليوم الذي قلت ها هي فرجت وستتبدل بنا الأحوال حصل الذي لم يكن بالحسبان الا أنه هذا هو الحال عند كل محاولة وعند فتح الباب للخروج من عالم الهم واليأس وسوء الحال.

ابني لقمان تعرض لحادث في العمل فما جمعناه بصرة الجيب صرف على علاج الولد وتأجل الحلم وهذا الذي حدث وكان.

وكل مرة تحل علينا مصيبة تلغي قرار شراء توك توك فلا ندري ما هذا الحال وماذا نفعل مع كثرة الخيبات وأكثرها تلك الابتلاءات.

تشاجرت زوجتي سنية مع احدى البائعات بالمكان فما كان عليها سوى أنها تركت مكانها ورحلت غصبا عنها عائدة الى البيت جالسة على فرشة الأرض تندب على الوضع وما وصلنا اليه من أسوأ حال.

وسيدة لحقت بأمها فلم تجد غير عمل الخضار الذي كان في الماضي غير الأن والولد برجله المكسورة لازم الفراش لشهر وشهور ولا نفع مع أي علاج الا أنا وحنان على رأس عملنا الى متى لا ندري شيئا من كل هذه التغيرات الحاصلة معنا دوما وعلى الدوام.

لم نقف يوما في وجه من يعرقل حياتنا سواء من الذي فينا أو من الاتي من الأخرين والحياة, فنحن الذين نتنازل في أوقات الحاجة وأشد الاحتياج, وفي موقف الدفاع نحن المسامحين المتراجعين عن المواجهة والقتال وبالأخير ما صابنا قد ساهمنا فيه بالكثير من التراجع والهدوء عند الثورة والغليان.

لم تكن الحياة ضدنا من اللا شيء فنحن من استسلمنا عند كل مصيبة وابتلاء وعند كل مشكلة وخلاف وعند كل ألم ومعاناة.

والمستسلم لن تكون له حياة تشبه الأخرين من المواصلين الصامدين الواقفين بثبات, فكانت حياتنا أشبه بحياة الذين لا حياة لهم وهم بالحياة.

اجتمعنا بذلك اليوم الممطر جدا وبقينا نفكر ما العمل وهل نستمر على هذا الحال أو نفكر في طريقة بها نغير حياتنا فيتغير الوضع غصبا يعني بالغصب لن نبقى نعاني والجميع عنده توك توك مركون عند الركن والباب.

توك توك صغير بسيط رخيص السعر والثمن حلم الطفولة والشباب وأنا الكهل الذي يحلم به عند طلوع الشمس وبحلول الليل والبطن جائعة والفرش تبلل من شدة البرد والاحتياج.

هذا الحلم الذي تحقق مع الكثير هو بالنسبة لي حلم لا يساعدني على النهوض وتحقيقه في أقرب الأجال ولا الوصول اليه والحصول عليه في وقت الصدمة وعند صوت الوقوع عندما تتعكر الأجواء.

لم أنجح في إزالة فكرة شراء توك توك فالحلم عندي الفقير رغم صعوبة تحقيقه الا أنه هو المنفذ والأكسجين الي يمد صاحبه بالهواء ومصدر البقاء بالحياة.

عاش الحلم معي وبداخلي سنوات طالت فطال معها تحقيقه والسبب ظروف تحاربني دون ذنب أو ارتكاب لمصيبة ليكون هذا هو العقاب.

عقاب الظروف لي شديد وأنا الذي امامها لم أجد حلا ولا فرصة للهروب والتواجد بغير مكان والإقامة عند الذي لن تصل اليه هذه الظروف عدوي ومستعمري الذي لا يجعلني أحصل على الاستقلال.

لم أجلس مع الظروف يوما فأواجهها فأكتشف لها الحل والعلاج لأصير الحر المتحرر الذي حصل على حرية العيش دون ضغوط أو قيود أو تهديدات.

تعاندني ولا تجعلني أهدأ لدقيقة من كثرة الضربات, فلا انا أقوى عليها ولا هي تستسلم أمامي فأسارع بإلقائها من أعلى مكان فتختفي في لحظة جرأة لم أتوقعها فكان الذي اردته وقد كان.

لم أخاطبها خطاب المتمكن الذي لن يترك لها باب للخروج والهروب وانها قبر فيه تدفن للأبد وأكون بعدها المكمل دون ظروف أقوى من

صاحبها وأقوى من كل الذي حوله فهي المسيطرة على الدوام والمقررة على مر الزمان والقادرة كل مرة وبجميع المرات.

اجتمعنا لنتناقش ونخلق حلولا لم نصل من خلالها الى حل فلقمان الى عمله قد عاد وجاء ذلك اليوم الذي يخبرني فيه أنه سيعمل من اليوم الموالي عند شخص لا أعرفه لكنني جمعت كل المعلومات فهو ذلك الغني الذي يملك الكثير من المحلات والبيوت وعدد من السيارات .. غني وسنتمكن من شراء توك توك والكثير من الأغراض.

زارنا الغني محروس تاجر الأثاث بغير حارة فقد دعوناه على مائدة العشاء فجاء ومعه العشاء وكانت جلسة ممتعة روينا فيها مختلف الحكايات ولم أستطع نزع بصري عن ساعته اللامعة التي يرتديها هذا التاجر بيده اليمنى ولا خاتمه المنتفخ الجذاب.

حزنت على حالي فأنا أشتهي ان أكون من الباشوات باشا ابن فلاح ابن فلاح.

أعيش بمنزل به غرفة كبيرة ممتلئة بالأغراض والحاجات وغرف للأولاد ومطبخ وصالة تتسع للجميع ونلعب بها كرة القدم ونجري عند الملل لنطرد الكسل ونستدعي الحيوية والنشاط, وحديقة بها مسبح وأشجار كثيفة والزهور بعطر الورد والريحان, وسيارات مركونة هنا وهناك فأنا الانسان الذي يتمنى أن يعيش هذه الحياة لا التي أعيشها كلها مر ومعاناة.

السيد محروس انسان عند المعاملة ينسى أنه غني ويتذكر أنه سوى انسان, طيب القلب واللسان وكثير فعل الخير ولم يقل عنه أحدا أنه البخيل الذي لا يخرج من جيبه الجنيه والدينار ولا أكياس القمح والغلة من احدى المستودعات.

كل مرة أقابله ويزورنا فيها وأزوره أدقق معه الي أن عرفته عن قرب وبدأ يعتبرني الصديق الذي لا هو القريب ولا هو البعيد فأنا الذي يقدم له يد العون دون مقابل في الخدمة فحالي يزعجه وأنا غير التوك توك لا أريد في هذه الحياة.

تقربنا منه جميعا فقد أحببنا قربه وزيارته لنا بين الحين والأخر وعند أخر الأسبوع محملا بمختلف الأغراض والأكياس بيده يعجر القوي على حملها وايصالها الى أقرب مكان.

نصحت ابني لقمان عديد النصائح ليبقى ملازما لمحروس ولا يترك مكانه لأيها فتى من الفتيان ولا صبي من الصبيان الذين معه وأبني المطيع كسب رضا التاجر فهو الراغب في صعود السلم درجة درجة وبعدها درجات.

الكل رأى بأن حالنا بالحال الممتاز ونحن لم نقوى على شراء توك توك وركنه كركنة المتحدث عن حالنا وهو مالك لما لا نملك أيها الحاقد الحسود الكذاب.

فمحروس يزورنا باستمرار والناس ترى دخوله محملا مثقلا بالحاجات وابني عنده يعمل فنحن قد أصبحنا من الذين حالهم هو أفضل الحال وأحسن من حال الكثير ونحن على حالنا فمال الغير لا يدوم والصدقة لا تغطي كل الطلبات ولا تحقق الأماني والأحلام ولا الجزء من الرغبات.

الى متى سنبقى نجمع الدينار فوق الدينار والصرة يلزمها الكثير لينشد حبلها وتنطوي جوانبها الجانب تلو الجانب فقد اكتمل المبلغ في الحين.

سئمت صدقا من هذه الحياة فلن أعمل ثانية بعملي كطاحن للقمح بطحانة أبو الغلبان.

لا بد ان أفكر في طرق أخرى منها أكون غني وأشتري توك توك وأتجول به في شوارع الحارة الضيقة فيراني الذي يقول عني المسكين والذي يقول عني عنه من المال ما عنده ويتظاهر بالفقر ليبعد عنه العين والحسد ويراني الذي طرقت بابه طالبا سلفة بسيطة أضعها فوق ما جمعته من مال.

تركت عملي الذي جلب لي الفقر أكثر وأبقاني مسكينا محتاج, ولازمت المنزل لأيام وأيام ولم أنهض في الصباح الباكر باحثا عن عمل بأي مكان فقد قررت أن أعيش حرا معززا يحصل على قوت يومه لا بالشقاء ولا بالعناء ولا بالعمل عند هذا ولا عند هؤلاء.

الأيام التي قضيتها في المنزل جعلتني أفكر دون انقطاع, فكرت في كل شيء في الذي يجوز والذي لا يجوز فقد أخذني عقلي بعيدا عن الحلال وعدت سريعا مستغفرا طالبا السماح من الله عائدا الى أحلامي البسيطة التي لها أن تتحقق بطرق صحيحة بسيطة في أجل قريب من الأجال.

لم أطلب مساعدة أحد في التفكير والتخطيط فقد أردت أن أتحمل ما يجب تحمله فأنا المسؤول بالنهاية ورب هذا البيت وعلى رأس الجميع.

زرت ابني بوقت عمله فرأني محروس وشربت معه كوب الشاي ورأيت الذي لم تراه عيني من قبل فهناك رزم من النقود الورقية رزمة تلي رزمة فباب الخزنة مفتوح فتح لأقل من الدقيقة وأغلق دون ظن أنني رأيت ما رأيت فكدت أفقد الوعي ولم أقل اللهم زد وبارك وارزقني مثله الضعف من هذا الرزق والمال.

ما كنت أفكر به من قبل لم يعد ضمن تخطيطاتي فقد طورت من تفكيري وما عليا سوى أن أشارك البقية في الحال.

ما سنفعله هو حل من الحلول.. سريع الحل حل جالب للخير دون وجع ومعاناة.

فقد حان الوقت لننتقل الى مرحلة أخرى من العيش وما نحن عليه لن يتغير ونحن بنفس العمل والتفكير والتخطيط عندنا لم يتطور ليكون التنفيذ من خلاله خطوة الوصول الى الحلم والمراد.

لن أتراجع عن فكرتي فالجميع وافق والقرار الجماعي قرار بالإجماع, والمتراجع العائد عن قراره ضعيف قد خاف من الاتي والخوف عندنا ليس من الحسابات

عندما يكون القرار نهائي فما بقي بعده سوى التنفيذ بكل حنكة وذكاء. والخروج عن اللازم والضروري سوى تهور مؤدي الى فساد الخطة وضياع الذي لا نريد ضياعه وهو المنقذ بكل الأحوال.

كيف سيكون التنفيذ والخطة قد رسمناها كرسم رسام عالمي انهاها من كل التفاصيل وجميل الألوان.

مر اليوم واليومين والثلاث أيام وأنا كما أنا لا أعمل فقد طلقت أعمال الشقاء والتعب والعناء وودعت عمل المساكين ومعاناة الفقراء, فالذي عاش الويلات والمعاناة لن يبقى الا وقد وجد لنفسه مخرجا من خلاله تكون الحياة أحسن حياة.

لم أعد أرغب في النهوض باكرا والذهاب لحمل الاكياس وتلميع المكان ولا العودة في وقت متأخرا أحتاج سوى للراحة والاستلقاء وأنا الميت الذي عاد للحياة والقادر الذي لازم الفراش.

لا أتوقف عن الحلم والتخيل وأنا أركب التوك توك وأقوده وأحوم هنا وهناك, وينقل الصغير والكبير وأقبض الأجرة بكرامة وراحة وعزة النفس محفوظة لم تهان ولم تداس, أعود وقت ما شئت الى المنزل أعود والقيلولة وصفة العلاج لا أتخلى عنها مهما كان.

أقود عربتي الصغيرة وأرى الناس من مختلف الأماكن والأحياء, والشوارع أعرف مغاراتها جميعا فأريح المسافر وأستمتع بإيصاله الى حيث يشاء.

لا احمل كيسا ولا اتعب قبل منتصف النهار ولا أطلب الرحمة من الذي رغم تعبي وساعات العمل الطويلة باليوم ينقص من جهدي ويتجاهل قطرات العرق الشبيهة بقطرات الدماء فيعطيني بالنهاية سوى الدينار.

من أراد خداعي والاستفادة من جهدي وقوتي ضربني بنصب واضح بأخر النهار وأنا المحتاج للدينار ونصفه وحق المسكين مضاعف عن ثمن القبض بعشر أضعاف, فما أهلكني سوى محاسبة أخر النهار فيها الحق يأكل والعرق جف والسارق قد اعتدى بضوء قمر النهار, وأنا بالليل أتألم وأصرخ من وجع ما عشته بكل النهار.

هل يتوب المتألم أم يستقبل المزيد من الظلم والأهات أم يحرر نفسه ويقول أنا الأحق بما أستحق والذي ضاع مني منذ البداية حتى منتصف النهايات.

لا لن أستمر وأنا الذي سئمت من الذي كنت فيه وقد قررت أن لا اعود أو أكون الضحية الطالب المستمر لحقه والمتهم يدعي البراءة وأنا الضعيف أمام اعترافهم وسطوهم الفتاك.

الأيام كلها متشابهة والساعة الأولى لا تختلف عن الثانية ولا الأخيرة, فمادام الحال نفسه بالنهار فهو نفسه بالليل.

يومي فارغ عبارة عن تنقل من المنزل الى القهوة أو من القهوة الى المنزل أو التواجد أحيانا بأماكن خارج الحارة فلا اطيق أن يراني بحالتي هذه وأنا مكتئب حزين مهموم لا أعرف صراحة كيف أبدأ يومي ولا كيف أنهيه وما الذي سأفعله وأرتب له في اليوم الموالي.

معظم الوقت جالس لوحدي فمن يخرج لعمله فقد خرج ومن يذهب لأشغاله فقد ذهب وبقيت أنا مع وحدتي ومع همي وتفكيري المتواصل المرهق في أمور قد أنجو منها وقد لا أنجو, قد تكون صالحة وقد تكون فاسدة جالبة للدمار للجميع.

أقضي وقتي في الأماكن والزوايا البعيدة عن أعين الجميع دون استثناء, فأنا هنا بالمنزل والبقية قد غادروا مع حلول يوم جديد أم هناك بالبقعة التي لا يراني ولا يشاهدني فيها أحد جالس وقد أثقلتني الهموم وأرهقني التفكير المتعب في أمور أنا حقيقة عاجز عنها ولا أقوى على توفيرها بأي شكل من الأشكال ورغم عجزي وضعفي وعدم استطاعتي أنا أحاول سوى بالتفكير فهو رغم سهولة صعب ومتعب جدا.

لم أتعود في أنني أشكي همي لأي أحد وحتى القريبون مني سوى لله لا غيره, وان شكيت للغير فهو سيتغير الحال, فلن يتغير وان تغير فقد ساء الأمر وتحولت الأحوال من سيئة الى سيئة جدا.

هذا ما حدث معي في المواقف التي قلت أطلقت فيها سراح مشاعري وفتحت جميع مداخل القلب ومخارجه وما كان الا والذي سمعني أهانني وأحرجني ونصحني النصيحة التي لا داعي لها.

تعلمت أن اكتم فوق الكتم بمراحل, وأن أحفظ أسراري وأقفل عليهم بجميع الأقفال ورمي المفاتيح بأعمق بحيرة أو من أعلى جبل في أعلى قمة على الأرض لا غير ذلك.

من سمع أهاتك في الغالب أسكتها بطريقته اما بتجاهل أو برد قاسي أو باستهزاء واستهتار واهمال يوجع القلب ويحطم المشاعر ويشتت الأفكار.

احفظ سرك تحفظ مكانتك وماء وجهك هذا ما أنصح به نفسي دوما وهي المستجيبة للنصيحة المطبقة لها بحرص وعناية شديدة.

ما يحصل معي هو في الغالب ليس من المألوف لدى الجميع, والغريب الحاصل قصة قد لا يصدقها الكثير.

أخجل في الاعتراف بما أمر وأعيش وأستحي في نزع الستار عن حالي الحقيقي الذي لم يراه أحد سوى الذين يعيشون معي المشاركين في الحياة والمعاناة.

أتظاهر بالقوة وأنا الضعيف جدا المحتاج الى ثلاث وجبات بالشتاء لا مثلها كالصيف وأسافر كثيرا الى الريف أين أجد بقايا الحصاد فأجمعها وأعود لإعداد الخبز والرغيف وشوربة الخضار ومعها زبدة الحليب.

لست الشخص الكسول أو الفاشل من بين الأشخاص والفقراء وانما أنا الذي يسعى والسعي لا يجني منه التساوي في التعب والمقدار.

طردت الفقر ألاف المرات وهو اللصيق بي الوفي الذي لا يرغب في المغادرة سوى البقاء وأنا المحتار بأي وسيلة أطرده وهو المختفي المتنكر في كل الأشياء.

شتمته وطردته وأهنته في العلن والخفاء وهو مصر على البقاء وسوى البقاء.

فضلت تجاهله وجلب الذي يضيق مساحته ويخنقه حتى الموت والاختفاء وهذا الذي أجتهد فيه وأجرب بكل الطرق والوسائل والمتاح ضعيف عاجز لا يسد الحاجة ولا يعين المحارب في قتل الأعداء.

لن أتخلص من وجعي ومعاناتي الا وأنا هنا وهناك وبين هؤلاء الغرباء فمن غير بقعته وجد الرزق عند الباب في الاستقبال.

تركت من معي في عملهم وأشغالهم وغادرت الحارة باتجاه احدى الحارات ومنها الى الريف أين وجدت مكانا بقيت فيه لأسابيع وشهور يعمل فلاح وحارس للأرض وحالب للأبقار.

وجدت راحتي طيلة هذه الفترة وأرسل لمن تركتهم ورائي بين الحين والأخر العشرون دينار.

تعلمت خدمة الأرض وكنت مخلصا لصاحبه الغائب عن المكان, سوى أنا لا غيري يخدمها وأنا مرتاح البال, لا يوجد بجانبي ولا فوق رأسي من يزعزع راحتي ويزعجني في الذهاب والإياب, وهذا ما كنت أريده أن أبقى على رأس العمل وحيدا أعمل بكل وفاء وإخلاص.

يزورني الأولاد عند نهاية الأسبوع أو بداية الشهر وأكون قد جهزت لهم كل الحاجيات وجميع الأغراض وتحسنت أوضاعنا وأنا أضع الورقة فوق الورقة فلم أعد أجمع معادن الدينار.

أعيش مع الطبيعة والحيوانات ولا أريد قرب القريب من الغريب ولا أي انسان فقد وجدت السكينة والذي بحثت عنه طيلة هذه السنوات ولا أرغب في ترك المكان أو مغادرة الأرض وأنا الذي متأكد أنني لن اجد غير هذا المكان ولا غيره بالقرب مما أنا متواجد ولا بالبعيد بحثا ما تبقى من العمر والأيام, فالصدفة فقط أو نقلتني هنا ولمحني صاحب الأرض أمشي تائها كالذي لا أرض ولا أهل له وهذا حالي وقتها بالفعل وهكذا كنت دون أدنى انكار أو قول غير ما حصل وكان.

غادر مالك الأرض وما حولها من خيرات وترك لي المفاتيح وصلاحية التصرف وكامل الحرية في اتخاذ القرارات.

جمع ما تنتجه الأرض وتسليمه لتجار الخضر والفواكه بالأسواق,

واستلام العائد من البيع ووضعها بخزانة البيت المجاور لمكان عملي أين أؤمن على كل العائدات والممتلكات.

ويمر الوقت وأتفاجأ أن السيد محروس اشترى الأرض وما حولها, الا أنه أبقاني على رأس العمل وجلب غيري ليشاركني بالمكان.

انزعجت ولم أعد أشعر بالراحة التي كنت فيها فقد جاء من يعارضني على الكبيرة والصغيرة ويرمي معظم العمل لأتولاه.

فما هذا الحظ ولما الهم يلحق بي من مكان الى مكان فأين المفر والى أين اتجه وأي بقعة في الأرض أرحل اليها ولا يكون هناك وجود للهم ولا تلك الكثير من الأوهام.

نعم الأوهام التي أضع نفسي فيها فلست أنا من أعيش الراحة على الدوام ولا أنا من أبقى في أول المقام, فمن تبعته الاحزان والتصق اسمه باسم الهموم لن يرى بعدها نورا للأفضل ولا للبسيط القليل من كل الأحلام.

الشاب يحي الذي عينه السيد محروس مساعد لي في المزرعة أصبح يزعجني الازعاج الواضع الشديد الذي جعلني بالأخير أقابل السيد محروس وأطلب منه أن يعينه في مكان أخر وكان الرد ببقائه فهو المسكين اليتيم الذي يناسبه عمله هذا وطلب مني بتحمله فهو الصغير وأنا الكبير المتحمل دوما للعباد ومشاكل البشر والحياة.

لم أجادله كثيرا فهو الذي رد ردا ليس بعد أي نقاش, سوى أنني عدت الى عملي واستمر الوضع كما هو وكان الأسوأ خلال القليل من الأيام.

لم يعد يحترمني يحي مع أنه احترامه منذ البداية شبيه باحترام اعتبره احترام وفقط.

وفي تلك الساعة التي لم أردها أن تأتي يوما علمت أن خزنة الأموال قد فتحت وسرقت بالكامل, ولا غيره يحي الفاعل, وأنا لم أراه ولا يوجد ذلك الدليل الصغير الذي يدل أنه السارق وأنا الكهل البريء.

ناديت يحي وبدأت أطرح عديد الأسئلة سؤال يلي سؤال بصوت مرتفع من شخص قد فقد العقل والاحساس سوى الغضب والخوف قد سيطر عليه وامتلكه الأعضاء وكل ردود الفعل والأقوال والتصرفات.

الذي حدث مصيبة سأتحملها أنا البريء وهو المرتكب من الأساس, ولكن من يقول أنا الفاعل سوى المجنون الشجاع الذي لا يهمه شيء فلا عنده ما قد كسبه ويكسبه وما خسره لم تعده الأصابع وان اجادت الحساب.

يحي سوى ينكر فهذا هو اعترافه من الاعتراف وما عليا سوى اخبار المالك ولا ادري بعدها ما سيكون حال الذي المصيبة ترافقه في أصعب المواقف وهي المنجبة لجل المشاكل والخلافات.

لم أتصل به وذهب لمقابلته أين صعب على اللسان اخباره بما أخذه السارق وخسره هو المالك وأنا الحارس المسؤول بهذا المكان.

لم أجده فقد غادر مسرعا الى المزرعة وتم اخباري بالذهاب الى هناك وقتها علمت بأنه علم بما حدث وبكل تأكيد يحي قد ألقى التهمة علي فأنا المذنب المتهم الذي لا يدري كيف ستكون المحاسبة والعقاب.

وأنا بطريقي الى المزرعة شعرت بشعور كاد يجعلني أصدق أنني أحتضر في ظرف دقيقة وأنا سوى أصارع الحياة من أجل البقاء الذي لا أرى فيه نفعا أو ذرة تشجيع على البقاء الا أن من رفض الموت الجميع ومن أراد الحياة قد عاش ومات.

بمجرد وصولي سقطت فاقدا للوعي متمسكا بالحياة ومن التفوا حولي ادعوا أني أمثل وألعب دور من لا يقوى على المواجهة ففضل الوقوع والتظاهر بأنه يموت فانقذوني ويقفل دفتر الحساب.

لم يكن هذا غرضي فهذا الذي شعرت به وقتها ففقدت الوعي والحمد لله أنني لم أفقد الحياة.

نقلوني الى المستشفى أين استيقظت وعدت للحياة ولم يتكلم معي محروس في أي شيء فهو من نقلني وبقي بجواري الى أن أعلن الطبيب خروجي أين نقلني الى المنزل بالحارة أين سمعت منه أشد خطاب.

أخبرته أنني بريء وأن الفاعل يحي أو غيره من الذي لم يدخل غير يحي المنزل وعلمه بمكان الخزنة وما تحمله من أموال.

بقيت فترة أطلب منه تصديقي والسماح فهذا تقصير مني وعدم انتباه, وما حدث كان لا يكون متى سخرت البصر في المراقبة والحرص في تأمين المكان من الدخول وضياع ما يحتويه من ممتلكات.

من وقت ارتكاب السرقة لم يعد لي مكان هناك ومن بقي هو يحي وأنا من رحلت فالوفي دوما هو المعاقب والعائد من حيث ما جاء.

اخترت الوقت المناسب وذهبت الى هناك لأسترجع أغراضي وما تركته لاسترجاعه في الحال.

تأكدت أن يحي غير موجود ودخلت أين توجد أغراضي فقد أردت احضار ما أملك وما جمعته من أموال, فأنا العامل الذي يأكل وجبة واحدة بالنهار ويعمل بجد واجتهاد لأجمع المال الذي يمكنني من شراء توك توك وترك جميع الأعمال.

وأنا أبحث في ثقوب الطوب في اسطبل البقر وكوخ الدجاج دخل يحي والسيد محروس أين وجدا في يدي كيس المال, ففهم من فهم قبل أن يسألني أنني السارق بالدليل والاثبات وكيف لي الأن أن أقول لست أنا ومن أين لي بكل هذا المال والمال مالي فقد عملت لفترة معتبرة وراتبي جيد من البداية والجميع يعلم الا أن وقت ظهوري وبيدي المال ما هو

الا وقت اختاره غبي قد خانه غبائه فصار المجرم الذي سمع به الكبار والصغار.

ضاعت أموالي وعدت فارغ الجيوب قد هدمتني خيبة الأمل وقضت عليا أشباح الأقدار.

أخذ السيد محروس مالي الذي اعتبره جزء بسيط من ماله المسروق والضحية له أن يسلب من المتهم كل ما يملك ليعيد حقك وما أخذ منه بالظلام والخفاء.

أصبت بوعكة صحة بسببها أجل محروس محاسبتي وتحديد العقاب, وأنا البريء الذي اتهمه الجميع والبريء في العادة يملك الدليل وأداة الاثبات.

نظرات الناس منعتني من الخروج وحبستني بالمنزل الى متى قد يكون الى أن أفارق الحياة فتخرج جثتي لمثواها الأخير أين لا أرى أحدا ولا يروني فيقولو في مجلس المحاكمة حفظت القضية فالمتهم قد مات.

علم القليل من القليل من أهل الحارة فالسرقة تمت خارجها ومحروس من حارة الجوار, وموعد اعلان جريمتي خلال أيام بحارة النعمان, فقد قرر

السيد محروس محاسبتي أمام مسامع وأعين الناس ولتشهد الحارة فيكفي هذا أكبر عقاب.

طلب مني السيد محروس تسليمه منزلي ويكفي فهذا ما أملك وأنا ملزم بإعادة ما سرقت بمنحه منزلي وهو من أخذ مالي الذي سأشتري به توك توك وأتوب من العمل عند الناس وأتخلص من اتهامات الغير وأعيش بكرامة حتى الممات.

ما هذا الطلب يا سيد محروس فهذا ما أملك فلما تشردني أنا والأولاد وبأي قسم أقسم لك أنني لست الفاعل والفاعل من حولك يحوم ويجول وقد صدقته وكذبت المخلص معك على الدوام.

لا تعاقبني بهذا العقاب فأقطع عنقي وأترك المنزل للزوجة والأولاد فهذا سترهم ومأواهم بالحياة فلا تكن قاسيا وأنت من قلت عنك الكريم الشهم المسامح رجل ليس مثله من بين الرجال.

من أخبرك عني بالسوء فلا يعلم شيئا عن اخلاص الرجال, ومن اتهمني في غيبتي فهو المجرم الذي ألقى اللوم على غيره والتهمة والعتاب.

أترك لي المنزل وافعل بي ما تشاء فقد استسلمت ما دمت قد صدقت الكاذب والصداق كاذب في لحظة من اللحظات والباقي هو فيها أمين من الرجال.

سأعمل خادما عندك دون راتب أو حتى نصف أو ربع دينار وخذ من تعبي ما ليس له فيه حق ما دمت أنا من نهب وسرق المال.

قال أمهلني يومين يكون فيها القرار, أنتظر مكانك وسأعلن ما فعلت ولتشهد حارة النعمان ولن أطرد لقمان فما أنت فاعله ابنك مصلحه ولكن ستغادرون المنزل وتليها بعض الأوامر والقرارات.

غادر سيدي وتركني حائرا غائبا عن الوعي والحياة لا أعي ان كنت حيا أتنفس أم أنا المحتضر الذي تأخر ملك الموت عنه في القدوم وإعلان خبر الوفاة.

من يصدقني وأنا قد أسمعتهم صوتي بعد فوات الأوان, فاللص ذكي قبل فعلته وبعد الفعل بارع في الكذب والادعاء.

هل أخبرهم للمرة المليون أم ألتزم الصمت الى أن يحين الوقت فقد لا تكون وقتها اعلان لأي حكاية من الحكايات ولن تروى قصتي ولن يسمعها القريب ويليه الغريب من الأهل والأعداء.

من ظلمني خارج القفص وأنا البريء بداخله وضعت قبل المحاكمة ولا قد حان الأوان.

قررت أن لا أختبأ خلف جدران منزلي الهش ولا داخل غرفتي المظلمة ولا بأي زاوية بمكاني بهذا المكان.

بدأت اخرج من المنزل وأعيش بشكل طبيعي فأنا الذي أستحق أن أرفع رأسي وان قطعوها عديد المرات.

لن أنحني ولن أتوسل لهذا ولا لذاك ولن أقبل تهم أحد ولا أسكت عند اصدار حكم الإعدام.

سأنقذ نفسي بطريقة أو بأخرى والطرق عند الذي يريد الانتصار والتغلب والبقاء كثيرة وناجحة كلها متى كان القرار.

وأنا في حجرتي وبأبعد مكان أفكر وأحاول إيجاد حل لما أمر بيه والجميع نيام, فأنا المتهم وأنا من بيده اعلان براءته والانسحاب بعد اجتماع الكبار ومشاهدة الصغار.

الساعة تقضي على التي قبلها واليومين بقي عليهما القليل وما عليا سوى الإسراع ثم الإسراع.

من يساعدني سوى من تشاركت معها الحياة ومن أنجبتهم في وقت سعادة وهناء لا غير من البشر فهم فقط من يعلمون ببراءتي ويرفضون معاقبتي بأي عقاب من أي نوع كان فلا أنا المذنب وان كان الدليل رأوه وأمسكوه فهو الاثبات بأني المالك للمال لا السارق والمال المسروق قد سحب من كل أرجاء المنطقة والمكان.

من أراد النجاة أخرج الحل من بطن الحوت ومن فم التمساح ومن سم الأفعى والثعبان, من أراد النجاة عمل بسر دون علم الأخرين من الأعداء واجتهد على الوصول الى الحقيقة وتوقيف الظالم من القاء التهم والادعاءات.

من أراد النجاة توقف عن استشارة الأخرين وأخذ النصيحة من هنا وهناك ومن هذا وذاك, واستعان بنفسك ومن حولك من الأقرباء وكتم الحقيقة الى أن تظهر بشكلها الكامل بحضور الجميع دون غياب الممتنع أو الهارب أو المعتذر في أخر لحظة من الاجتماع.

أحداث غريبة تحدث خلال هذه الساعات الأخيرة فالذي يطرق الباب والذي يصرخ بأعلى صوت بالداخل ولا وجود لغيرنا نحن الأهل والأحباب.

والغريب في الأمر الذي لصالحك وان عاندك أمام الجميع سيكون بجانبك وقت الحاجة والالحاح, فلا الطلب الأول من الأول مستجاب ولا الطلب الأخير دائما مرفوض بالإجماع.

ما نخفيه سوى وسيلة استعنا بها لإنقاذنا وتم الإنقاذ في الحال وما نتعمد على فعله فهو رد على أسوأ حال من الأحوال في غالب الأحيان.

ما وصلنا اليه منا ومنهم وفي الغالب سوء اختيار وقرار أو خداع مرتب وتم تنفيذه بحذر واتقان.

ما نريد الوصول اليه حلم قد يكون وقد لا يكون وما نود التخلص منه مهمة هامة فيه القتال أكثر من النجاة والخروج بسلام.

ما نهرب منه قد استولى علينا وتحكم في جميع زمام الأمور, وأحاط بالمداخل والمخارج وغطى السقف بالنار وهاجم بلماعة حدة السيوف.

ان كان الذي يوصلنا للحقيقة ما هو الا حبل رقيق وان كان الذي يمنعنا من الضياع سوى التمسك بحمل وان كان رقيق فهو لا يخفي الحركة ولا يميل.

لو بقي أمام البريء خطوة على النجاة لما تردد في انهاء المهزلة وإعلان قرار الافراج في الحال, كيف هذا وكيف سيكون سوى سؤال لخطوة تجاوزها وتجاهلنا من أراد الى جنب البراءة الاستعانة بأقوى خبير.

الخبرة في التجربة وفي العقل المدبر لحظة اتخاذ قرار المصير, ومن أراد الاستمرار بوجه لا عبوس ولا احتلته التجاعيد جراء الحزن والهم والخوف من تحديد المصير تلقى الضربة القاضية في الوقت الغير متوقع واللحظة الثالثة التي تليها الترحيل مع المجرمين.

من حسم أموره لن تسير غير اتجاه الراغب مما يريد ولن تغير وجهتها وان واجهت الذئب في اول الطريق ولن تغير مسارها الا في حالة واجهت مشكلة اكمال ما تبقى فالعراقيل كثيرة والمعوقات لن تفشل المخطط وان كان ورائها إسرائيل.

الحق في الأخير هو المنتصر دوما وان وأخفوا ملامحه فالصوت صوته وقلب لغير الحق لن يميل.

قد ينتهي المطاف بالكثير بغير الذي أرادوه والطامع في الحلم محققه والمتمسك بالرغبة عنها لن تخلى وان قطعوا الأيدي ومشى برجل واحد عما يريد لن يتوقف ولن يغيب.

الشر والأشرار بكل مكان والطيب بأن يصبح شرير فهذا الذي لن يحدث وان عانا وسجنوه ونفوه وحاولوا ارغامه على فعل المستحيل, فهو الطيب وان فعل فعلا واحدا من الشر وما يفعله الشرير.

قد أحاول السير بغير اتجاهي يكفي أنه يوصلني بالأخير وينجيني من مصائب القوم الظالم وشماتة العدو والقريب.

ما جاء العكس الا لأننا لم نبين رغبتنا لما نريد, فلا النجاح يعرف صاحبه قبل اعلان النتيجة ولا الفوز قد طرق باب النائم عند حلول الظهر والنائم لا يعرف عن المنافسة ولو سوى القليل.

لازلت الفقير الملتزم الذي يستبعد كل الذي لا يقبل ولا يجوز, فلا الحروب تنتهي بلا قتال وانتصار ولا الاستقرار باق بلا تطور وازدهار, ولا الحل يجلب لك الخلاص عند أول طلب وهو للبحث أكثر يحتاج.

جالس بمكاني المعتاد بالداخل وبالخارج أنتظر دعوة حضور فاليومين لم يتبقى منهم سوى دقائق اما فيها النجاة والخلاص والانتصار اما الفضيحة وأشد عقاب.

وأنا جالس على قهوة النواس جاءني خبر مفزع من ابني فمحروس قد مات ,انتقل الى رحمة الله فالله أكبر مات الكريم الشهم فقد مات. وسيشرد ابني وكيف له أن يجد عمل مثل هذا العمل والحارة الفقير فيها قد غطى على من حالهم حال الأغنياء الفقراء.

مشيت في جنازته ولم أستطع أن أبكي أو احزن فهو صاحب الثروات فالحزن على المحتاج الذي لايزال محتاج.

خلال أيام قليلة جدا تمكنت من شراء توك توك أحلامي ولم يكن توك توك مستعمل كما أردت وانما توك توك جديد وحديث ليس لأحد في الحارة مثله.

دخلت بالتوك توك الحارة والجميع ينظر باستغراب ودهشة من أين لعمر هذا التوك توك الجميل اللامع لكن لم يتجرأ أحد على سؤالي سوى أنني رأيت مليون سؤال واستفسار من خلال نظراتهم ووقفتهم وحركاتهم مع تصرفاتهم وأنا لا أبالي بأحد سوى أسير مرفوع الرأس متباه سعيد.

بقي التوك توك مركون لأيام ليراه الجميع ويحسدني.. نعم يحسدونني كما كنت أحسدهم بالضبط.

رميت جميع الملابس التي كنت أرتديها واشتريت ملابس تليق بقيادتي للتوك توك الجديد.. فقد أصبحت أشبه تلك الأغنياء الذين لا يعرفون عن الفقراء شيئا.

لست أنا فقط من أصبحت بهذه الهيئة والأناقة فزوجتي بأساور الذهب التي غطت يدها تتجول هنا وهناك لترى جارتنا أم السعد وأم الخير وأم الأيتام مالم يرونه من قبل وهن اللواتي كانوا يسخرن منها بشكل يومي وباستمرار.

لم يتقدم أحد نحوي ولم يسألني الذي ذاهب ولا الذي عائد من أين لي كل هذا فهذا كنز قد استيقظت ووجدته تحت وسادتي وفقط , فهل هذه الرواية سيصدقها الجميع أم البعض أو لا أحد.

لا يهم من يصدق ومن لا يصدق الأهم أنني بأفضل حال الأن.

وأنا بالبيت على سريري الناعم الدافئ الجديد وأمامي صحن الفواكه المشكلة وأشاهد التلفاز المعلق بجدران الغرفة أحاول تشغيله وأنا لا أعرف كيف وكل التقنيات الموجودة في التلفاز حديثة , غير أنني لم

أكسب تلفاز من قبل لكي أتمكن من تشغيل هذا التلفاز الأن, بدأت أسمع أصوات صراخ قد دوت المكان وأنا بكل هدوء تام نهضت من مكاني وفتحت الباب .

وجدت زوجتي قد سبقتني وهي من أخبرتني بان جارتنا ياقوت العجوز الكبير صاحبة التسعون سنة قد توفيت وقد وجدوا جثتها متعفنة لأنه لم يعلم أحد بموتها وهي الوحيدة التي تعيش لوحدها ولا نعرف لها لا أهل ولا معارف منذ سنوات.

دخلت المطبخ وأنا أقطف من الدجاجة المحمرة جزيئيات لأتذوق الطعم اللذيذ فإنني لا أصبر الى حين حلول موعد الغداء.

وضعت الأكل على الطاولة وتناولت الغداء مبكرا جدا والحارة في حالة حزن شديدة على جارتنا العجوز الشمطاء.

لم أتمكن من السير في جنازتها فإنني خرجت مع الزوجة والأولاد في توك توك للتجول داخل الحارة التي كانت فارغة فانتقلنا الى الحارة المجاورة واستمتعنا.

بقي التوك توك فترة معتبرة امام الباب الى أن قررت أنه مع بداية الأسبوع سأباشر بالعمل عليه كوسيلة نقل فبهذا حلمت وتمنيت وهو عمل سهل وغير شاق.

وبليلة الخميس في حدود الساعة الحادية عشر ليلا وأنا نائم والحارة مظلمة وهادئة جدا والبرد شديد سمعت الجرس المعلق بالتوك توك الذي كنت قد علقته لكي أشعر وأسمع الجرس في حالة ما اذا أحد لمس التوك توك أو حاول سرقته.

استيقظت مفزوعا مسرعا نحو النافذة فأنا أقيم بالطابق الأرضي.. لم أرى أحدا سوى أن التوك توك مبلل وهناك أمطار غزيرة.

عدت الى فرشتي بعد أن تأكدت أنه لا يوجد أحد بالخارج, وعند طلوع الشمس نظرت نظرة أولى على التوك توك اذ هو بمكانه ولا يزال مبلول فلبست المعطف بعد أن فطرت ونزلت لأحضر أغراض المنزل وجدت أن الأرض بكل الحارة ليست مبللة سوى المكان البقعة التي عليها التوك توك استغربت صراحة الا أنني لم أهتم كثيرا.

وتكرر نفس الأمر بليلة الجمعة هنا بدأت أشك وأخاف بنفس الوقت فنزلت ليلا لأتفقد المكان من النافذة رأيت المطر وبالخارج لا وجود للمطر سوى التوك توك لا يزال مبلل فبسرعة ظننت أن هناك من يقوم بسكب الماء على التوك توك من كثرة الحقد والغيرة.

رويت على الأولاد ووالدتهم الذي رأيته فظنوا مثل ما ظننت بالضبط وقررنا أن نراقب من بعيد وبالخفاء التوك توك لنرى من يقوم بسكت الماء عليه .

بقيت لليالي نراقب لكن دون جدوى لا يوجد أحد ولا وجود لأي حركة غريبة بالقرب من التوك توك والمكان.

في اليوم الذي قررت فيه بأنني سأباشر عملي بالتوك توك تفاجئت بأن التوك توك لم يرد التحرك من مكانه مع أن محركه يعمل بشكل عادي.

أحضرت الميكانيكي سعد جارنا وفحص التوك توك وأكد أنه لا يشوبه أي عيب وأنه جيد للغاية.

بدر الي ذهني أن تبلل التوك توك هو السبب في أنه تعطل دون عطل واضح ومكشوف فقررت أنني لن أغفر لمرتكب هذا الأمر.

وفي ليلة قريبة من تلك الليالي في الليلة التي تليهم سمعت جرس التوك توك يدوي بقوة فخرجنا جميعا خارج المنزل ووقفنا أمام التوك توك فلا وجود لأحد نهائيا فما الأمر وما الذي يحدث أم أن هناك من يريد أن يلعب معنا لعبة قذرة ومسلية بالنسبة له.

وأنا أقفل الباب سمعت مسجل الأغاني الذي بالتوك توك قد اشتغل وبأعلى صوت جعل الجيران يخرجون منزعجين يطلبون مني احترامهم في هذا الوقت المتأخر وأنا واقف قد بلعت لساني وسيطر عليا الصمت بشكل كلي.

خجلت وعدت بأدراجي نحو الوراء وأنا أقفل الباب عادت الأغاني من جديد مع أنني أقفلت المسجل جيدا وبالمفتاح فتوجهت نحو التوك توك بسرعة وبدأت أضرب في المسجل بقبضة يدي القوية حتى رأيته خرج

من مكانه فعرفت أنه قد انكسر فانزعجت وأقفلت الباب وعدت الى فرشتي وأنا في حيرة كبيرة أحاول إيجاد تفسير منطقي لما يحدث.

قبل الفجر بنصف ساعة عاد تشغيل الأغاني من جديد ولكن كيف والمسجل قد انكسر من شدة ضربه.

خرجت ووجدت مجموعة من الجيران يشتمونني ويوبخونني وبعدها وهم واقفون وأنا معهم والأغاني بأعلى صوت أذن الفجر وازدادت ردة فعل الجيران الذين وصفوني بالكافر وعديم الاخلاق والاحساس.

من الفجر الى طلوع الشمس وأنا بالخارج جالس داخل التوك توك أنتظر أن يحدث شيء غريب من الأشياء التي تحدث لأكتشف ما الامر الا أن لا شيء قد حدث.

الأشياء الغريبة تحدث كل مرة في أوقات خارجة على وقت التعامل والتعايش فالغريب غريب جدا يظهر في تلك الساعة المتأخرة.

وأنا جالس بالمقهى جلس بجانبي أحد الجيران وأخبرني أن هناك من كان يقود التوك توك بوقت متأخر بالليل .. فزعت وسألته كيف كانت

هيئة هذا الشخص قال أنه كان يرتدي معطف وقبعة ولم ألمح ملامحه خاصة أن هناك ظلام داكن فقط كان يدخن ويقود بهدوء تام فناديت عليك ظننته أنت الا أنه لم يجيب.

ما أخبرني به الجار جعلني أصدق ولا أصدق أو بالكاد لا أكاد أصدق ما سمعته فكيف أحد غيري يقود التوك توك ليلا وبالصباح التوك توك بمكانه كما ركنته قبل الدخول الى المنزل فهل يعقل هذا.

غادرت المقهى باتجاه البيت وأنا أسير هناك من أوقفي أحد من المعارف بالحارة الفضوليين جدا ليسألني عن الامرأة التي كانت تقود التوك توك الخاص بي ومعها ولدان صغيران, صرخت في وجهه وقلت ألا تكفوا عن قول أشياء لا تصدق فأقسم أنه رأى ذلك في حدود الساعة الواحدة ليلا وأنه عرف أنه التوك توك الخاص بي من خلال الجرس ولونها الأسود والأحمر.. لم أستطع أن أقول له أنت تكذب فقط سمعته للأخير وغادرت وأنا حقيقة لم أعرف اتجاه المنزل من أين من كثرة الدهشة والاستغراب فما الذي يحدث هذه الفترة معي يا الله.

اجتمعنا على مائدة العشاء والجميع في حيرة من أمره وقفت في لحظة واتجهت لألقي نظرة على التوك توك على أمل أن أرى شيئا, اذا بالتوك توك ملتهب بالنار ونار قوية جدا ستنهيه حتما.

صرخت وأنا اجري متجها للخارج والجميع ورائي وبمجرد خروجي لم أعد أرى تلك النار الملتهبة التي رأتها منذ قليل منذ بضع ثواني فقط.

وقعت على الأرض جالسا وفي هذه اللحظة قررت بيع عربة حياتي بالسوق الذي بقي على قدومه ثلاثة أيام.

الكل أجمع على أنه هذا هو الحل فبيع التوك توك سينهي هذا الكابوس ولا بأس فلنا شراء غيره.

لم أعرف طعم النوم لأسابيع سوى أنني كل دقيقة أنظر من النافذة وأراقب فهناك ما يقلقني وبشدة.

وفي تلك الليلة التي لم أنم فيها بدأت أسمع أصوات مدوية بالقرب من باب منزلي وكأن هناك من يبكي ويصرخ بأعلى صوت.. ظننت أن

هناك شيء سيء قد حدث مع أحد الجيران الا أنني بسرعة استبعدت هذا الاحتمال وذهب تفكيري في أن الغريب من الغريب قد حدث.

خرجت ككل مرة أتفقد ما الذي يحدث بالخارج وزوجتي تمسك بيدي وتطلب مني عدم فتح الباب .. الا أنني فتحته فلم أعد أتحمل كل هذا.

نظرت مباشرة للتوك توك الذي وجته في وجهي مباشرة وفعلا الأصوات التي كنت أسمعها من الداخل هي أصوات خارجة من التوك توك ولكن لا أحد هناك بداخله

وقعت زوجي على الأرض خائفة وأنا سوى واقف بمكاني لم أتحرك ساكنا.

في لحظة وجدت عدد من الناس واقفون بالقرب منا وهم الجيران يوبخونني للمرة الألف ويحاولون ابعاد زوجتي بعيدا عني ظنا منهم أنني ضربتها ذلك الضرب المبرح وهي من كانت تصرخ وتبكي.

تركت ظنهم هذا الظن قائما فلم يكن بوسعي أقول لا لست أنا فهناك من يصرخ داخل التوك توك وفي الأصل لا يوجد أحد.

أنا لن أنتظر اليومان لأبيع التوك توك.. سأعرضه للبيع في الحال وبسعر رخيص لأبيعه خلال ساعات وأتخلص منه فلم أعد أريده أو أقوى على تحمل الذي يحدث بسببه.

علقت على ظهر التوك توك اشعار ببيع التوك توك والسعر الذي وضعته فعلا جعل المقبلين على شراءه الكثير والكثير جدا.

فرحت لكمية الناس التي تتصل وتتواصل معي لشراء التوك توك الا أن كل من يأتي لرؤية التوك توك يرفض شرائه رغم أن شكله جديد وجميل وهيئته لاتزال على حالتها الأولى ولا يبدوا عليه أنه تم استعماله ولو ليوم واحد.

كان كل من يقترب من التوك توك يبتعد ويسد أنفه فهناك رائحة كريهة تشبه رائحة الميت المتعفن خارجة من كل مداخل ومخارج التوك توك.

الجميع قد شم هذه الرائحة الا أنا وعائلتي لم نتمكن من شمها.

احظرت معطرات كثيرة من كل الأنواع وذات رائحة قوية لتخفي وتزيل تلك الرائحة التي يتحدثون عنها.

استعنت بالعطور والمعطرات على أمل أن أزيل الرائحة الكريهة لا أشمها لا من قريب ولا من بعيد.

قررت أن أخدع من يشتري التوك توك بتعطيره في تلك الوقت وبعدها سيكون عند صاحبه الجديد وأنا لا دخل لي فيما بعد.

وأنا أقف في استقبال الزبائن القادمة لشراء التوك توك والمكان معطر أتفاجئ أن الجميع يجري رافضا وخائفا من التقرب من التوك توك فلا تزال الرائحة على حالها وانما ازدادت شدتها أكثر وهذا جعل الجميع بالحارة لا يتحملونها وطالبوني بإخراج التوك توك خارج الحارة في الحال وهذا من غير الممكن أن يحدث.

أنا أرغب في بيعه والاستفادة منه لشراء توك توك أخر غيره لا في رميه والتخلص منه.

ألزموني أهل الحارة على رميه خارج الحارة في أقرب وقت فالرائحة كل يوم تزداد أكثر وأصبحت الحارة رائحتها نتنة, وما على عمر سوى الاستجابة في الأخير.

بالنهاية اخترت الخسارة واتجهت للتخلص من التوك توك فلم أرد رميه لكي لا يستفيد منه أحد فقد يكون سوى أقاويل وافتراءات يدعيها الجميع غيرة مني واجباري على رمي التوك توك الذي هو في الأساس محل أنظار الجميع منذ الوهلة الأولى.

توك توك أحلامي الذي فعلت البشع وكل شيء من اجل الحصول عليه سأحرقه ولن أدع أحدا يأخذه مني وفي المقابل سأحضر غيره وتنتهي كل هذه القصص التي تحدث بشكل يومي ومستمر.

ركبت أنا وابني لقمان التوك توك بعد أن أحضرت قارورة بنزين لأحرقه ولكن أمام أعين الجميع وفي نفس اليوم مساءا لأحضر غيره.

أجتمع أهل الحارة كبيرهم وصغيرهم وهذا بطلب مني والكل استجاب.

مسكت قارورة البنزين الممتلئة واليد الأخرى كبريت لأحرق التوك توك الذي أصبح شبح للجميع.

وقفت وابني لقمان سكب البنزين على التوك توك حتى تبلل بالكامل, وبغضب شديد وحزن لا يوصف رميت عود الكبريت الا أن التوك توك لم يشتعل.

ضحك من ضحك واستغرب من استغرب.. تقدم أحدهم نحو قارورة البنزين ونحو التوك توك وادعى أن البنزين ليس ببنزين وانما ماء ملون غير قابل للاشتعال وهل الماء يشتعل.

اتهموني بالغش وعرض مسرحية لم تعجب الجميع وأنا سوى أقسم لهذا وذاك ولا أحد يصدق ويستجيب.

دون أدنى تفكير توجهت مسرعا غاضبا نحو محطة البنزين التي منها اشتريت البنزين , تشاجرت مع من باع لي البنزين الا أنه أثبت لي أنه بنزين من خلال اشعال القارورة التي كانت بيدي وبالفعل اشتعلت.

كيف لأهل حارة النعمان يتأكدون من أن البنزين ماء رغم أن هناك اختلاف كبير بينهما والماء لا رائحة له والبنزين له رائحة وكيف التوك توك لم يحترق رغم سكب البنزين عليه.

انني كل مرة أفشل في اقناع الذين هم لا يقتنعون مهما قلت وفعلت ولعدم اقتناعهم هذا مبرر وقوي جدا وكيف يقتنع من يرى عكس ما أقوله وأفعله.

لا القسم أصبح يجدي نفعا ولا قول الصدق يكشف الحقيقة ولا الصراحة هي من تثبت براءتي .. فأنا المدان دوما والتوك توك كل مرة يفعلها بي.

زوجتي وأولادي حالهم مثل حالي يرون ما أرى ويسمعون ما أسمعه فهم بجانبي قد أقسموا لهذا وذاك لكن ما تراه العين لن تصدقه الأذن وان روينا الروايات الصادقة مدى الدهر.

وضعت التوك توك عند مدخل الحارة فلم يعد أحد يتقرب منه ولم يبقى أحد يرغب في شرائه, حاله أصبح كحال المنفي والمنبوذ.

في اليوم الذي تركت التوك توك أمام مدخل الحارة ولازمت المنزل اليوم كله فلم أعد أقوى وأرغب على رؤية أحد ولا التعامل معهم.

دخل لقمان عليا الغرفة وهو يلهف ويقول أبي التوك توك بالخارج أمام المنزل بالضبط.. قلت له كيف هذا من غير الممكن المفتاح معي هنا بجيبي فمن نقله وكيف.

خرجت وجدته بالفعل أمام الباب بهيئته اللامعة الا أن هناك ديدان وحشرات كثيرة بداخل التوك توك.

دخلت المنزل أبحث عن مبيد الحشرات أو على أي شيء يقضي على هذه الديدان والحشرات التي غطت التوك توك من الداخل.

رشيت التوك توك كما يجب وجريته أنا ولقمان وأعدناه الى مكانه دون أن يشعر بنا أحد وبالفعل لم يرانا أحد وعدنا الى المنزل مقررين هذه المرة أن نجد حل نهائي وجذري للتوك توك.

قرارنا هذه المرة هو رمي التوك توك خارج الحارة, بإحدى الحارات المجاورة وبهذا لن يكون هناك توك توك بحارة النعمان خاص بالعم عمر.

في الصباح الباكر اتجهت أنا ولقمان لأخذ التوك توك خارج الحارة وعند وصولنا لمدخل الحارة لم نجد التوك توك, فقال لي لقمان قد تم سرقته يا

أبي بكل تأكيد.. فأحسن شيء أنه تم سرقته فلم يعد بعد الأن توك توك يزعزع راحتي وراحة الأخرين.

انزاح ذلك الهم وارتحت لكن لم يمر على استقراري دون توك توك يومان وسمعت من احد المارة من أمامي أن التوك توك متواجد بالقرب من بئر الحارة .. ناديت لقمان وذهبنا الى هناك وبالفعل التوك توك هناك.

اقترح لقمان أن نرمي التوك توك بالبئر وبذلك لن يتمكن أحد لا من رؤيته ولا من عودة التوك توك ثانية ما دامنا لم نتمكن لا من حرقه ولا من رميه خارج الحارة ولا بإبقائه بعيدا عن الأنظار.

وبالفعل هذا ما كان تعاونت مع ابني وألقينا بالتوك توك داخل البئر العميق جدا وتأكدنا أنه لم يعد له وجود وهذا لأن البئر العميق جدا قد ابتلعه.

مشينا بعيدا عن المكان بعد أن حققت إنجازا لا أحسد عليه.

علاقتي بالجيران وبأهل حارة النعمان لم تصبح أحسن شيء فأنا أتجنب الجميع دون استثناء, ولكن الجميع حسدوني على التوك توك فقد قررت للمرة الثانية اقتناء توك توك أخر لا يشبه الذي سبق ولن يكون مثله.

في اليوم الذي استعد فيه للذهاب لشراء توك توك .. تجهزت وفطرت ووضعت رزم النقود بالكيس وربطتها برقبتي وأخفيتها داخل المعطف وتهيأت للانصراف.

وما أن فتحت الباب وجدت التوك توك القديم أمامي بحالته ككل مرة.. من لحظتها لا أدري ما الذي حدث فقد فقدت الوعي ووجدت نفسي ملقي على السرير لا أقوى على التحرك ولا على الكلام.

ولقمان بالخارج يتشاجر مع الجيران الذين معترضين على دخول التوك توك الحارة ثانية بعد جملة الاحداث والقصص الغريبة العجيبة التي حدثت طيلة تواجده بالحارة.

لقمان يحاول أن يجعل الجميع يهدأ وأنا بالداخل أشعر بخنقة شديدة لم أشعر بها من قبل رغم أنني مررت على الكثير من المصائب والمشاكل والابتلاءات والصعاب الا أنه لم يصل بي الحال الى ما أنا عليه الأن.

استندت على زوجتي وأصريت على التواجد مع لقمان بالخارج لأنهي الخلاف بشكل نهائي.

تحدثت معهم واقترحت عليهم بأن يتصرفوا في التوك توك بمعرفتهم دون اخباري بأي شيء عنه وعن مكانه وعن الذي ستفعلونه به.

كان اقتراح رائع ومناسب جدا بالنسبة للجميع.. وتكفل رجلان من الحارة بالتصرف في التوك توك بعيد عن الحارة وأهلها.

لازمت الفراش لما يقارب شهر وخلال هذا الشهر أنا سوى أرى كوابيس بالنهار وبالليل وبكل الأوقات.. فقربت أن أفقد عقلي بسبب هذه الكوابيس المخيفة المزعجة التي دمرت نفسيتي وقضت على راحتي وحولت حياتي الى جحيم حقيقي.

اجتمع كبار حارة النعمان بمنزل المختار أين دعوني للحضور فقد اجتمعوا من أجلي.. فعبد النبي ومحسن الرجلان اللذان أخذا التوك توك الى الأن لم يعودا للحارة.

اتهموني ككل مرة يتهمونني فيها بأنني السبب في اختفائهما وأنا حقا لا أعلم بشيء وليس لي دخل بكل الذي يحدث فأنا المريض منذ شهر الذي فقد وزنه وتغيرت ملامحه وكبر عشرين سنة فوق سنه.

لم أطل معهم الحديث كثيرا فمن عنده الدليل يقدمه وأنا مستعد للعقاب حينها.

غادرت مجلس الاتهام باتجاه المنزل مباشرة وعند وصولي اتفاجأ بأن التوك توك نفسه مركون عند الباب كالعادة وكأنه يعاندني ويستفزني بلا ملل واستسلام.

من حظي لا يوجد أحد بالشارع.. سارعت أنا وزوجتي والأولاد وقررنا ادخال التوك توك الى حوش المنزل والذي ساعدني في إدخاله هو باب المدخل الرئيسي للمنزل كبير نوعا ما ويتسع لدخول التوك توك.

وضعناه في حوش المنزل عند المدخل وغطيناه بمفرش كبير أخفى معالمه وهذا كله لكي لا يرى أهل القرية التوك توك ويثبت أنني أنا السبب في اختفاء الرجلان والدليل عودة التوك توك من جديد وفي الوقت ذاته القضاء على المصائب القادمة بسببه.

تصرفنا بسرعة لم تجعلنا ندرس عاقبة دخول التوك توك المنزل.

نعيش فترة لم تغيب المصائب عنا ولم نهنى ولم نسعد بهذا التوك توك من اللحظة التي دخل فيها الحارة وانتسب الي.

لن أحارب هذا القادر مرة أخرى فهو التوك توك الذي له قدرة خارقة على تأليف وتمثيل مشاهد مستحيلة لا تصدق لا من العقل ولا من غيره.

سأحاسب نفسي على كل خطيئة ارتكبتها وعلى كل ذنب اقترفته وعلى كل فكرة سيئة طبقتها.

بقي التوك توك بحوش المنزل ساكنا هادئا ليومان حمدت الله وشكرته وقمت مع الزوجة والأولاد بتكسيره وفك جميع أجزائه لنخفيه نهائيا مع

رمي كل جزء بمكان بعيد عن المكان الاخر لكي نمسح فكرة اجتماع الأجزاء وهذا من غير الممكن.

استغرقنا ساعات طويلة في فك أجزاء التوك توك لكي لا يشعر بنا أحد مع أنه لا أحد يزورنا ولا نتعامل لا مع القريب ولا مع الغريب طيلة هذه الفترة فالجميع بعيد عنا ونحن بعيدون عن الجميع.

تمكنا ونجحنا من تحويل التوك توك الى بقايا لن تجتمع وان كلف بهذه المهمة كبار المهندسين والميكانيكيين.. نعم كان عمل شاق الا أنه يستحق كل هذا العناء والتعب فالنتيجة مرضية جدا وقد بثت الراحة والطمأنينة بالقلب والنفس.

تولى ابني لقمان مهمة رمي الأجزاء فكل يوم يقوم برمي جزء جزئيين بالأكثر وكل جزء بمكان الى أن نجح في رمي كل الأجزاء بقي فقط الكرسي فضلت أبنتي سيدة على بقائه للجلوس عليه مع اصراري على بقائه بحوش المنزل وعدم إدخاله الى الداخل مهما كان وهي وافقت وبقي الكرسي بمكانه.

اننا نحاول العودة الى حياتنا الطبيعية قدر الإمكان مع نسيان كل ما كان وما حدث الا أن هذا من الصعب جدا مادام الذين بالحارة لا ينسون مختلف الأحداث.

لم أستطع التخلص من الكوابيس التي تلاحقني بكل مكان ولازلت أعاني رغم أنني ودعت الفرشة وطلقت النوم بالثلاث.

وفي ليلة اليوم الموالي وأنا جالس بغرفتي أصارع النوم وأحاربه لكي لا أتصادف مع حلم يدمرني سمعت سيدة تطرق الباب وتصرخ .

دخلت أبي ..أبي كرسي التوك توك بالغرفة يا أبي.. دخلت غرفة سيدة وحنان اذ بالكرسي في احدى الزوايا وليس هذا وفقط الكرسي به كمية دم ليست معقولة لدرجة أن قطرات الدم تنزل بغزارة.

أخرجنا الأولاد من الغرفة وتوليت أنا والزوجة مهمة تنظيف الغرفة وإخراج الكرسي للخارج.

وضعنا الكرسي بالخارج ولم يعد وجود للدم بعد تنظيفه لكننا لم نتمكن من إزالة الخوف الذي امتلك الأولاد.

خرجت الى حوش المنزل أين وضعت الكرسي ومسكت سكين وبدأت أقطع في الكرسي والكرسي وكأنه انسان ينزف بالدماء.

استغرقت دقائق معتبرة وأنا سوى بكامل قوتي بالسكين أضرب الكرسي بتلك الضربات التي مزقته, لم أكتفي فرميت عود الكبريت أين بالفعل اشتعل ولم أصدق الى أن رأيته انتهى كليا , هنا عدت الى سيدة واحتضنتها وعادت الأمور بمحاولة غير كافية منا الى وضع شبه طبيعي وفقط.

ولأنني احتضنت ابني لكي تنام نمت معها تلك الساعات القليلة التي لم تكن تشبه باقي الساعات التي كلها معاناة ومقاومة.

في الصباح أحضرت كيس كبير لأضع فيه بقايا الكرسي المحترق لرميه بعيدا عن منزلنا وعالمنا وحياتنا, وأنا أنظر يمينا شمالا باحثا عن الكرسي لم أجده فأين هو؟

لم أترك بقعة في المنزل لم أبحث فيها عن الكرسي اذ به خارج المنزل وتخرج أصوات منه كصوت امرأة تبكي ورجل يقاوم ما يقاومه وأنا خائف بشدة من اكتشاف الأمر من قبل الجيران وأهل الحارة.

أدخلت الكرسي الذي كانت هيئته ليست بهيئة الكرسي الذي احترق وانما كرسي بحلته الجميلة الجديدة, ركنته في احدى زوايا الحوش ودخلت أبحث عن وسيلة أخرى بها أقضي على الكرسي نهائيا فلم أجد أمامي سوى ساطور صاحب الضربة القاضية.

وأنا أحمل الساطور ومتجه ناحية الكرسي وجدت هناك امرأة كبيرة في السن واضح عليها التعب والمرض جالسة على الكرسي ولكن هيئتها ومظهرها كان يدل على أنها امرأة ليست عادية وكأنها هربت من قبر كانت تسكنه.

اعتبرتها في بادئ الأمر شبح فقلت لنفسي هل الشبح يظهر بالليل أم النهار..

لم أتجرأ على التقرب منها أو لمسها سوى بقيت بعيدا أحدثها عبر جملة من الأسئلة لم أتلقى منها رد سوى أهات وأنين الموجوع المتألم من شيء.

مع كل تكرار للسؤال صوت توجعها يزداد فقررت التقرب أكثر والتحدث معها عن قرب أفضل فكلما أقترب يخف صوتها ويخف معه أنينها.. بقيت أتقرب الخطوة تلي الخطوة الى أن قابلتها فأنا لحد الأن لم أرى وجهها سوى وصفتها من خلال مظهرها وملابسها.

تجرأت ووضعت يدي فوق كتفها محاولا فهم ما الأمر ومن تكون رفعت رأسها الذي كله ضربات وجروح وكدمات تبدوا قديمة لم تشفى منها بعد.

بعين واحدة تبصر والأخرى لا وجود ها والفم وكأنه ممزق والأسنان من الخد الأيمن ظاهرة.

ملامحها هي نفسها ملامح الشبح الحقيقي الذي لا أدري من أين جاء نظرت لي بوحشية وفجأة وقفت ومسكت رقبتي بيديها صاحبة الأظافر الطويلة وهي تصرخ في وجهي وتقول " بأي ذنب قتلتني بأي ذنب".

الذي أنقضني منها ابنتي حنان وزوجتي اللتان مسكتا يدي وسحباني بعيدا وأنا لا أقوى على التنفس فكدت أموت مختنقا بسببها.

وفجأة لا يوجد أحد بالمكان سوى أنا والبنتان والزوجة ولقمان يغسل لي وجهي ويسألني ما بك يا أبي فلم يراها أحد سوى أنا وهاتان العينان.

وضعوني على السرير والعقل قد فضل الجلوس هناك.. لم أقوى على الاستلقاء وأنا أريد تفسير لكل ما كان الا أن الجميع رفض مغادرتي للغرفة.

انتظرت حتى مغادرة الجميع وغادرت الغرفة نحو الخارج أين وجدت رجلا عند الباب بملابسه الممزقة المغطاة بالتراب وشعره الكثيف الأبيض والأسود ولحيته الطويلة نوعا ما يمنعني من الخروج ويردد نفس الجملة التي قالتها من سبقته " بأي ذنب قتلتني بأي ذنب"

وبدأ يتقدم نحوي لمهاجمتي فدفعته وفتحت الباب لأخرج الى الشارع أين وجدت التوك توك .. هو نفسه التوك توك الخاص بي هنا بدأت أجري كالمجنون وكالذي شيء يجري ورائه وهو بالفعل التوك توك يسير

باتجاهي وكأنه يسعى للقضاء علي والعجوز والرجل بداخله يقوده وأنا ما كان عليا سوى الاستمرار في الجري الى أن وصلت الى السوق أين كان من الصعب على التوك توك الدخول فالازدحام شديد والطرقات ضيقة للغاية ولا مكان لمرور سوى الأشخاص.

دخلت السوق أجري وأصرخ وأطلب من الجميع انقاذي وتوقيف التوك توك الذي ورائي.

بدأ الناس يبتعدون عني لا يقتربون كما طلبت والكل خائف وحائر من الذي أقوله وأنا فيه.

وقفت وسط السوق وحدي أين الناس هناك أراهم وأنا أنظر يمينا يسارا باحثا عن التوك توك ومن فيه فلا هو بالسوق ولا وجود للذان كان فيه سوى أنا بخوفي واقف أقول من لم ينقذني سيكون السبب في موتي وهلاكي.

لحق بي لقمان والبقية وهو يطلب مني العودة الى المنزل أين رفضت العودة الى ذلك المنزل المشؤوم فأنا من قتلت العجوز ياقوت والتاجر محروس.

لم ينصدم لا الولد ولا الزوجة ولا البنتان فالجميع يعرف بالفعل وما فعلت وما كان.

سوى الناس ينظرون الى بعضهم البعض ويقولون امسكوا ذلك القاتل المجرم الجبان.

وأنا هدفي أن لا أعود الى منزل عشت فيه الخيبات والويلات وهم جروني الى المختار أين طلبوا مني الاعتراف من الألف الى الياء ودون تردد قلت الباء والتاء ولم أنسى لا الخاء ولا الراء ولا الزاء والثاء فأنا من قتلت تلك العجوز الشمطاء التي كانت تزعجني وتنام على فرش مليء بالخيرات.

اكتشفت أن طوال حياتها وهي تضع الدينار فوق الدينار فهي من احدى الجيران وأنا لا أطيقها وقتلي لها من أجل ما عندها فأنا أريد

شراء توك توك ولما تبقى هي على قيد الحياة وهي العجوز التي عاشت ما عاشت وقفلت العمر فلما بقائها حية وهي ميتة قريبا فلست أنا من الجناة.

دخلت عليها أزورها فدعتني الى سفرة الغداء , تغديت وغسلت اليد بعد أن وضعت لها حبة السم في كوب الشاي وغادرت بعد قفل الباب.

أما محروس فتاجر لم يهديني القليل من الجنيهات فقررت الانتقام منه غيرة وحقد وحسدا فسحبت روحه حتى الممات فلا يستحق العيش بالحياة وأنا بحاجة الى توك توك لأعين نفسي وأعمل بثبات فلا ذنب لي والذنب على من مات.

أليس الفقير له حصة من مال الأغنياء أم الفقراء مكتوب عليهم أن يبقوا فقراء فما ردكم أيها الحضور المجتمعين الأعزاء.

انني أستحق العقاب ولا أستحق ذلك العقاب فأنا البريء وهما المذنبان ليس من الشرفاء.

لا تحاسبوني فقد حاسبني من مات فقد لحق بي والتوك توك من ماله فأنا المسكين الذي في النهاية لا يستحق أيها عقاب فاتركوني فإنني راحل فالحارة لم تعد مكاني وهناك الكثير من الحارات.

نجوت وقد دفن من مات ومن تمنيته وحلمت به اذاقني العذاب ومر المر بالحياة فحذي ما أخذت فاني راحل ولن تعرفوني ويكفي أن تقولي عني ذلك قد مات.

لن أنجوا هذه المرة فقد حفرت حفرة الوقوع ولن ينجدني الذي نجيته ليبقى ويموت الذي مات.

ما ليس له نهاية لم يوجد الا لتكون له نهاية كتبها صاحبها لتكون الختام بالأخير, وأنا لا أجيد في الكتابة رفع العمود ولا وضع الهمزة على الألف ونهاية الباء, ولا قراءة الخلاصة لأفهم نهاية البدايات كيف هي من باقي النهايات.

أنا المسكين بالنهاية فقد قتلتني ومزقتني نظراتكم منذ سنين.

فاني ميت ولم يعد لي معنى بالحياة يكفيني ما أعانيه فالوجع بالداخل قد فاق وجع من مات.. فليتني مت ولن أقف أمامكم والبريء يوم متهم لا بالأدلة والاثباتات.

اعترفت بما اقترفت ليغرب عن وجهي من مات فيكف عن ملاحقتي فاني لا أقوى على الجري لا يوم السبت ولا بنهار وليل الأربعاء.

في الحقيقة أعلم أن ليس لي مفر فقد قتلت روحا والثانية بعدها بيوم بسويعات.

سأعيش مكبل اليدين والقدمين أو سيلف الحبل على العنق فينشد هي شدة واحدة وبعدها أفارق الحياة.

فأصبح قصة من القصص التي تبدأ بكان يا مكان وعمر الرجل البسيط الفقير المسكين قاتل بذاك الزمان غدر بعجوز وبتاجر كبير أراد أن يقاسمه الرزق والمال فما كان الا أن يكون عبرة لكل مكان وزمان ولمن يسمعها فيعلم أن من مات لن يموت بالكامل الا أن يكشف عن قاتله ليرقد بمسكنه وقد لحق به من أماته لنفس المكان.

فهذا أنا عمر بن حسان بن عثمان ابن حارة النعمان انسان وسوس له الشيطان فارتكب الذنب والحرام

توكتوك الحارة

ما دبر لهُ العقل وكانت تخفيه النفس بكل زمان ومكان ما هو إلا حقيقة تستحي الظهور والمشي بين أعين الناس فالملامح مُخيفة والدم قد غطى الأيدي والثياب والتكتوك المركون أمام الباب له في الغياب أكبر نصيب من ثبات البقاء المعتاد.. فالذي خرج عن الطبيعي والمألوف جريمة ستُنهي صاحبها باعتراف صريح فيه قسم القصاص لا البقاء.